ظاهرة المناطق الحضرية الهامشية في المدن الجزائرية

د.عبد الكريم بليل
الشاذلي بن جديد، الطارف – الجزائر

أ. سمير يونس
الشاذلي بن جديد، الطارف – الجزائر

ملخص:

تعبر المناطق الهامشية الحضرية عن نسيج عمراني متخلف في المجتمع الجزائري، بدأ ظهورها من أيام الاحتلال الفرنسي واستمر بعد الاستقلال؛ وزاد نموها مع الطفرة الديمغرافية التي لم توكبها تنمية متسارعة، مما ترتب عنه أزمة سكنية بالغة الخطورة، تجلت مظاهرها في تكاثر الأوعية السكنية العشوائية وانهيار منظومة التخطيط العمراني، وتدهور المنظر الجمالي للنسيج العمراني، لتصبح التجمعات السكنية الفوضوية والعشوائيات تتسل بين ثنايا الجدران والشوارع والعقول والثقافات. ولأن المناطق الهامشية بيئة مؤثر ومتأثرة، فقد كانت عينة حية لإفراز آفات اجتماعية، والتعبير عن مظاهر أخرى، مثل الانحراف والجريمة والانحلال الخلقي وكثرة نسب الطلاق، وغيرها. وتتميز المناطق الهامشية الحضرية بجملة خصائص مورفولوجيا وفيزيولوجية في النواحي العمرانية والاجتماعية والثقافية، وهي تعبر عن ظروف مادية ومعنوية مزرية، يوصم بموجبها قاطنيها بالدونية.

الكلمات المفتاحية: المناطق الحضرية، المدن الجزائرية، الطفرة الديموغرافية.

Abstract:

The urban marginal areas reflect a lagging urban fabric in Algerian society, which began to emerge from the days of the French occupation and continued after independence; its growth increased with the demographic boom, which was not accompanied by rapid development, resulting in a very serious housing crisis, the collapse of urban planning, and the deterioration of urban aesthetic landscape.

Marginal areas have caused social, economic, cultural and security pests .A number of morphological and physiological characteristics in the urban, social and cultural aspects characterizes the urban marginal areas. They reflect the material and moral conditions of the poor, whose inhabitants are characterized by social.

Keywords: urban areas, Algerian cities, demographic boom.

مقدمة:

تعبر المناطق الهامشية الحضرية عن نسيج عمراني متخلف في المجتمع الجزائري، بدأ ظهورها من أيام الاحتلال الفرنسي واستمر بعد الاستقلال؛ وزاد نموها مع الطفرة الديمغرافية التي لم توكبها تنمية متسارعة، مما ترتبه عنه أزمة سكنية بالغة الخطورة، تجلت مظاهرها في تكاثر الأوعية السكنية العشوائية وانهيار منظومة التخطيط العمراني، وتدهور المنظر الجمالي للنسيج العمراني، لتصبح العشوائية تتسل بين ثنايا الجدران والشوارع والعقول والثقافات. ولأن المناطق الهامشية بيئة مؤثر ومتأثرة، فقد كانت عينة حية لإفراز آفات اجتماعية والتعبير عن مظاهر أخرى مثل الانحراف والجريمة والانحلال الخلقي وكثرة نسب الطلاق، وغيرها.

تتميز المناطق الهامشية الحضرية بجملة من الخصائص المورفولوجية والفيزيولوجية في النواحي العمرانية والاجتماعية والثقافية، وهي تعبر عن ظروف مادية ومعنوية مزرية، يوصم بموجبها قاطنيها بالدونية الاجتماعية والثقافية والاقتصادية.

فالمناطق الهامشية هي مناطق سيئة التخطيط العمراني وإن كانت حديثة النشأة، وهي تجمعات سكنية هشة ومتقادمة وعشوائية في كثير من مظاهرها، وتفتقد لوسائل المعيشة الضرورية.

مشكلة الدراسة:

إشكالية الدراسة قائمة حول معرفة أسباب ظهور المناطق الهامشية في الجزائر؟ والخصائص المميزة لها، وفهم واقعها الميداني.

أهداف الدراسة:

نستهدف من الدراسة توضيح أسباب انتشار الأحياء الهامشية، وفهم الظروف المحيطة بسكانها والأخطار المحدقة بهم، والمشاكل التي تنشأ من سكان المناطق الهامشية، وآثارها على النسيج العمراني للمدينة الحضرية.

أهمية الدراسة:

قيمة دراسة وضعية المناطق الهامشية تظهر في التنويه للأخطار الاجتماعية والانتهاكات الإنسانية المحدقة بساكنيها، وكونها بؤرة لتنشئة أجيال من المجرمين والمنحرفين

والخارجين عن القانون، فأخطارها المتعددة الجوانب ناقوس خطر على المجتمع والنظام العام، بسبب موجة الاحتجاجات وأعمال التخريب والفوضى، وقد كانت لها أمثلة كثيرة سابقا في الجزائر وفي دول مجاورة وعربية أخرى.

أ-تصنيف الأحياء السكنية:

توجد في كل حي تركيبة سكانية متميزة اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا، يصنف بموجبها سكانها وأحياؤهم، ويتم الحكم عليهم وعلى تصرفاتهم بالرجوع إلى مستواهم الرفيع أو المقبول أو المتدني. فطريقة تعامل المجتمع الرسمي وغير الرسمي تختلف باختلاف مستوى بيئة الحي وسكانه المقيمين به.

وتتنوع الأحياء السكنية بحسب توفر جملة الإنشاءات العمرانية ونوعية الطبقة السكانية من النواحي الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وفي الجملة يمكن تصنيفها في علم الاجتماع الحضري إلى أربعة أنواع، وهي:

1. الأحياء الراقية:

يصنف الرقي لأي نسيج عمراني بمعايير مورفولوجية تواكب عصر التصنيف؛ في مقدمتها: الموقع والحيز الجغرافي، التخطيط العام للحي، التهيئة العمرانية والبيئية للمحيط. مداومة الصيانة والنظافة، توفر التجهيزات السكنية الحضرية.

و تعد الأحياء الراقية مركزا لطبقة سكانية تناسبها، وهي أحياء متواجدة في المناطق المفضلة والهادئة. تتميز ببعدها عن المراكز الصناعية التجارية، وتتمتع بحياة الترف، ومظاهر التحضر المختلفة[1].

2. الأحياء المتوسطة:

هي أحياء تتوسط في كل المعايير، فمن الناحية العمرانية بناياتها لا هي فارهة وغالية؛ ولا هي متقادمة أو مهترئة أو عشوائية، ومن الناحية الزمنية حديثة الإنشاء، ومن الناحية الاجتماعية أغلب سكانها من الطبقة المتوسطة الدخل، فلا هم بالأغنياء ولا بالفقراء المحتاجين، ومن ناحية التهيئة العمرانية لا تمتلك التجهيزات الحضرية للأحياء الراقية من اتساع المساكن وجودة بنائها داخليا وخارجيا وروعة التصميم.

3. الحي الشعبي

الحي الشعبي منطقةٌ عمرانية سكنيةٌ عتيقة تتصل بالموروث الشعبيّ؛ لقدمها العمراني؛ أو تُبنى على الطريقة التقليدية للمدينةٍ فتكون أحياء حديثة النشأة قديمة الطابع المعماري و الثقافي و الاجتماعي السكاني، و "تتميز الأحياء الشعبية بأنها وحدة عمرانية لها تنظيم معين، تسكنه فئات من عامة الناس من الفئات الشعبية، ذات الدخل والمستوى المعيشي الضعيف أو المتوسط، تمتاز هذه الأحياء بالقدم. وعلى الصعيد العمراني. تمتاز بأزقتها الضيقة، وتداخل المنزل، وقلة المرافق الضرورية داخل المنازل"[2]

4. الأحياء الهامشية:

تعرف **الأحياء الهامشية** بأنها أمكنة يتجسد فيها سوء الأحوال السكنية، وذلك بتواجد مباني ومساكن قديمة، والآيلة للسقوط، وتفتقر إلى أعمال الصرف الصحي، وتتسم بالازدحام الشديد والتخلف والظروف الغير صحية[3].

يمكن تقسيم الأحياء الهامشية إلى:

- مساكن الصفيح القصديرية.
- المساكن الغير قانونية في المناطق الصناعية.
- المساكن المتقادمة والمهترئة والمنهارة جزئيا.
- مساكن أسطح وأقبية العمارات وحضائر السيارات.

ترتفع نسبة الأحياء الهامشية " في مدن الدول النامية، فتمثل من **25% إلى 49 %** من سكان **كراكاس** عاصمة **فنزويلا**، و **مكسيكو سيتي** عاصمة **المكسيك**، و **ليما** عاصمة **البيرو**، و **مانيلا** عاصمة **الفليبين**، و **بغداد العرق**، و **إسطنبول تركيا**، و كل من **دلهي** و **كلكتا** و **بمباي** في **الهند**، و تبلغ نسبة **50 – 69 %** من سكان كل من **أنقرة** و **الرباط** و غيرهما"[4].

يمكن إيجاز مؤشرات السكن الهامشي فيما يلي:

- سوء التجهيز.
- التقادم والهشاشة.
- سوء التهيئة الإنشائية للسكن.

- تموقع في منطقة أخطار طبيعية كالفيضانات وانجراف التربة والسكك الحديدية والمناطق الصناعية، ومكبات النفايات للمدينة[5].

ظهرت المناطق الهامشية في العديدة من الدول العربية نظرا للطلب المتزايد على السكن، الناتج عن ارتفاع معدلات الزيادة الطبيعية لعدد السكان مثل مصر، وارتفاع الهجرة المتزايدة من الريف إلى المدينة كالنزوح نحو القاهرة، مع نقص الوحدات السكنية المطروحة، فتجاوز إمكانيات تنمية البنية الأساسية لمواجهة هذه الزيادة السكانية.

ونتيجة لارتفاع أسعار الأراضي في المدن وخاصة المناطق المهيأة عمرانيا، لجأ العديد من الأفراد إلى الطرق والغير قانونية لبناء مساكنهم، مما أدى إلى ظهور مناطق عشوائية[6].

ب–المناطق الهامشية في المدن الجزائرية:

يوجد في **العاصمة الجزائرية** العديد من أحياء الصفيح. وتعد الأزمة الأمنية –التي عرفتها البلاد خلال التسعينيات–السبب المباشر في نزوح السكان من الأرياف نحو العاصمة. مما جعل الطلب على السكن يفوق العرض بعشرين (20) مرة. ووفقا لإحصائيات تعود لعام 2007 فإن عدد العائلات التي تقطن أحياء الصفيح يتجاوز **25 ألفا**[7].

1– مورفولوجيا المناطق الهامشية:

1–1 عمرانيا:

تعاني الأحياء الهامشية في **الجزائر** من " تشوه مبانيها وقدمها، ونقص التهوية والإضاءة، وقلة الحدائق والمجاري؛ إن لم نقل انعدامها، إلى جانب ضيق الطرق والشوارع وانعدام المواصلات. وغالبا ما تبنى هذه الأحياء –خاصة على ضواحي المدن –من قصدير، أو فضلات الخشب والمواد المعدنية والكرتون، إلى جانب خلوها من المرافق الحيوية، الاجتماعية والاقتصادية"[8].

تتمركز أغلب **الأحياء الهامشية** في **الجزائر** " في المحيط الخارجي للمدينة أكثر من مركزها، حيث نجدها تتموقع على العموم بجوار المناطق الصناعية، سفح أو منحدر جبلي، محاجر، أو بمحاذاة طرق سكة حديدية، أو خطوط نقل بري، أو منطقة أثرية"[9].

ويمكن تفسير ذلك بتوافر الأراضي الشاغرة بها، أكثر من **الأحياء الهامشية** وسط المدن، كالأحياء القديمة العتيقة والشعبية، كما أن أغلبية الأحياء حديثة النشأة في ظل أزمة

السكن ما بعد الاستقلال، فلن تجد أوعية سكنية أو مساحات شاغرة وسط المدينة، وكثير من سكانها من مناطق ريفية أو بلديات وقرى بعيدة عن المدينة، ونزوحهم يضطرهم للإسراع في إنشاء مأوى رخيص، وأرخص المناطق هي ضواحي المدن.

أما فيما يخص التموقع الجغرافي للأحياء المتخلفة على مستوى ولايات الوطن، فقد تبين أنها في الغالب تتمركز بالمدن الكبرى أو المدن الصغيرة المجاورة لها، حيث تشكل حالة **وهران، تلمسان، بلعباس، سعيدة، الجزائر العاصمة، البليدة، المدية، عنابة، قالمة، قسنطينة**، نماذج لهذا الواقع.

وفي مستوى آخر من التمركز الجغرافي، نجد أن حوالي **40**% من البلديات **الجزائرية** تعرف انتشار هذه الظاهرة، لكن على نحو غير ثابت ولا موحد[10]. و في دراسة ميدانية ظهر أن **60 %** من الأحياء العشوائية و القصدير و بيوت الصفيح تقع على أطراف المدينة، و **08** % تقع داخل المحيط العمراني للمخطط العمراني للتعمير **PUD**، و المخطط التوجيهي للتهيئة و التعمير **ODAU**، في مساحات خالية غير صالحة للإعمار[11]. و" تتسم الطبيعة القانونية للأملاك و الحيازات العقارية.. بكونها تابعة للجماعات المحلية بنسبة **87%** من الأراضي."[12].

2-1 ديمغرافيا:

تتميز **الأحياء الهامشية** بأنها أماكن مزدحمة بالأبنية، مكتظة بالسكان[13]. والازدحام المسجل قد يكون داخليا، فيشغل المسكن الواحد عدة أسر، أو أسرة واحدة كبيرة، وقد يكون ازدحاما خارجيا، في الكثافة السكنية. فالمسكن هنا "يتميز بالضيق والاحتقان السكني وكبر حجم الأسرة. والتداخل والتزاحم.. والضيق المكاني. غرفة واحدة مخصصة لكل الحاجات، يعيش فيها ما بين 8-12 فردا، كما يشترك السكان في الكثير من المرافق مثل: المجال، المدخل، ودورات المياه. إلخ""[14]. و يضم **الحي الهامشي** خليطا سكانيا، و يجمع "بين أفراد غير متجانسين ومن أقليات متعددة"[15]، فيكونون في الغالب من الغرباء عن المدينة، من مهاجري الريف أو القرى أو مدن أخرى صغيرة، أو من الرعايا الأجانب، و الكل من فئات عمرية مختلفة.

3- 2-فيزيولوجيا المناطق الهامشية:

2-1 اقتصاديا:

يتصف **الحي الهامشي** بأن " الفقر وانخفاض الدخل يمثل العامل الحاسم في كل ما يرتبط بهذا الحي؛ من مشكلات اجتماعية خطيرة."[16]. يضم سكانا لهم مستوى معيشي متدني. و " يؤكد **أوسكار لويس** أن هناك تشابها واضحا في الحالة المعيشية للطبقات الفقيرة في كافة أنحاء **المناطق المتخلفة**، ويتجلى هذا التشابه في عدد من النواحي؛ أن سكان تلك المناطق الحضرية يعيشون على **هامش الحياة**.. وتلازمهم ظاهرة البطالة "[17].

فهم من **الفئات المعوزة** التي تتميز بالدونية الاقتصادية، فنجد الحي" يكتظ بالعاطلين، والعاملين في الحرف الصغيرة، والباعة المتجولين، وفي الأعمال التي تعتمد المؤهلات البدنية، والمجهودات العضلية للشخص دون جهد فكري كمساعد في البناء"[18]، وفي التجارة البسيطة على مستوى أحيائهم السكنية، بهدف الاستقرار فيها[19]. وحياتهم الاقتصادية تستند على " النسق الاقتصادي للمدينة، والتي يعيشون في ظلها، سواء كانت صناعيا أو تجاريا أو خدماتيا"[20]، نظرا لتدني مستواهم التعليمي والتكويني لغالبيتهم، وهو ما يجعلهم يتوجهون نحو الأعمال البسيطة. لكن المجتمع يستفيدان من استعمال عمال **الأحياء الهامشية** والتكسب منهم، فهنالك **فئة الانتهازيين** بصفة مؤقتة، وفئة **الانتهازيين** بصفة دائمة تقطن الأحياء الهامشية، ويستفيدون من الخدمات المتوفرة المنخفضة التكاليف، من أجل الصعود في السلم الاجتماعي[21]. أو الهروب من الضبط الرسمي في المدينة، كالأجهزة الأمنية.

فالأحياء الهامشية بالجزائر من الناحية الاقتصادية، لم تعد فقط " مأوى للفئات المعوزة والمتدنية من المجتمع؛ بل توسع مفهوم الإقامة بهذه المناطق ليشمل مختلف الفئات **السوسيو مهنية:** إطارات متوسطة، إلى جانب معلمين، تجار، حرفيين. وبنسب متفاوتة من فئة لأخرى، حيث نجد أن نسبة **31%** من المقيمين هم من العمال غير المؤهلين، وحوالي **28%** منهم عمال غير فلاحين، في حين **80%** عمال خواص آخرين غير فلاحين، و6% موظفين في السلك الإداري. وهو ما يعد مؤشرا على مستوى الدخل المالي لهذه الأسر، والذي لا يختلف ظاهريا عن سكان **الأحياء الشعبية** في المدن الكبرى".[22]

2-2 ثقافيا واجتماعيا:

يلمس في الواقع المجتمعي أن سكان المناطق الهامشية غير مرحب بهم في المناطق الراقية و المتوسطة و حتى الشعبية؛ لتدني مستواهم الثقافي و المعيشي، أو لعادات و سلوكيات لا يقبلونها منهم، فالمناطق الهامشية تمتاز بثقافة اللامبالاة بجمالية و انحطاط الذوق السكني و الجواري، و انخفاض الرعاية الصحية و النظافة داخل المسكن و خارجه، في المأكل و المشرب و الملبس، و نظرا للتآلف فيما بين سكانها لا يحصل استنكار، لكن الطبقات المجتمعية الأخرى تنفر من مثل هاته السلوكيات، و عزلة المناطق الهامشية يبعدها عن ثقافة المدينة الحضرية، خاصة إن كان سكانها من المهاجرين و الغرباء؛ و يتميزون بالحركة الاجتماعية الشديدة، فلا تجد فيهم مراعاة لأخلاقيات السكان الأصليين، و لا تربطهم بهم أواصر مصاهرة أو جيرة؛ تفرض احترام العادات و التقاليد و الأعراف، و هو ما يلحظ في أحياء السكن الاجتماعي في الجزائر، فحين تبنت الدولة نقل سكان الأحياء الفوضوية و العشوائية و القصديرية إلى أحياء جديدة من عمارات، انتقلت ثقافة الأحياء الفوضوية المهمشة إلى العمارات، فسكان الأحياء الهامشية لم يعتادوا على احاطة الجيران من كل الجوانب العلوية و السفلية و اليمين و اليسار، و لم يعتادوا التزام التخلص من النفايات و القمامة في أماكن محددة، كما اعتادوا على الذوق الرديء للمساكن و المحيط، فسنجد أغلب الأحياء فقدت المساحات الخضراء و تجهيزات التسلية، و أغلب العمارات متسخة داخليا و خارجيا، و أصحاب الطوابق السفلية سيجوا المساحة المحيطة بهم لتربية حيوانات أو زراعة بعض الخضار أو تجميع خردوات بها و غيرها من الحاجيات.

و يرتبط هذا بصفة مباشرة بتدني مستوى الدخل والمعيشة، لكن قد يوجد في بعض الفئات بالأحياء المهمشة و هي تسعى للتغيير و تحسين ظروفها و الانتقال من المناطق المهمشة و هي فئة تعيش " الحياة على أمل.. من الجماعات النشطة؛ من الذين لديهم الدافعية للحراك الاجتماعي الصاعد، وهم يسعون إلى تغيير وضعهم الاجتماعي والخروج من نطاق الحياة في الأحياء الحضرية المتخلفة"[23].

و التباين في مستوى التعلم بين الجنسين، فتمنع الفتيات من التمتع بحظوظ الذكور في الدراسة بداية، و تشجع تلك الظروف على الانقطاع المبكر لهن عن المدرسة، و قد سجل

برنامج الأمم المتحدة المستوطنات البشرية حول حالة مدن العالم، أن دولا مثل "**الهند، باكستان، البنغلاديش، كولومبيا**.. تقل نسبة معرفة القراءة والكتابة، بين اللواتي يعشن في مناطق عشوائية فقيرة بما يتراوح ما بين **30–50 %**، عن نظيرتهن في المجتمعات المحلية الغير فقيرة"[24]. وفي الأحياء الهامشية الحضرية " شرائح تشتق لنفسها أساليب اجتماعية وثقافية وسلوكية خاصة، تتعامل بها مع المجتمع وشرائحه المختلفة، كما أن لها بنيتها وأنساقها الفرعية، وتفاعلاتها داخل الجماعة الحضرية التي تنتمي إليها"[25]، فتسن لنفسها ثقافة فرعية في ظل الثقافة الأم لمجتمع المدينة ككل. وهذه الثقافة تتلون بخصائص وظروف حياتها، وهي ثقافة مركبة من قيم ومعايير تحدد عموما شبكة العلاقات فيما بين أفراد **الحي** الواحد؛ وفيما بين الآخرين على مستوى الأحياء. وتعبر عن عجز الوافدين الغرباء –في بعض الأحيان–عن التأقلم مع ثقافة المدينة الجديدة والمختلفة بالنسبة للكثير منهم، وهذا مقارنة بثقافة الريف أو القرية أو البلدة الصغيرة التي ينتمون إليها، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، تمثل هذه الثقافة نتاج عجز المدينة ببنائها الاجتماعي والثقافي والاقتصادي والسياسي عن احتواء هؤلاء النازحين. وهذا ما يؤهل الحي الهامشي إلى أن يخرج " في قيمه على المتعارف عليه في المجتمع الكبير"[26].

وكثيرا ما يمارس مجتمع المدينة شكلا من **النبذ الاجتماعي** على المنحدرين من **الأحياء الهامشية**، بوصمهم **بالدونية الثقافية والاجتماعية**، لما تعانيه من مشكلات كالتشرد، التسول، التسرب المدرسي، التفكك الأسري، انتشار الأمية، البطالة، ثقافة الاتكالية واللامبالاة. وهذا ما " يسهل التوجه لوسائل اللهو الرخيصة التجارية، كمحلات المقامرة والبغاء وتعاطي المخدرات والمسكرات وهذا ما يجعل ارتكاب الجريمة في مثل هذه الأحياء أمرا سهلا وشائعا"[27].

وقد بينت أبحاث عالم الاجتماع الأمريكي **(كليفورد شو)** "أن **60%** من الجانحين الأحداث في تلك المدينة [مدينة **شيكاغو**] يأتون من أحياء خاصة تتميز بالانهيار المعنوي والتفكك الخلقي"[28].

وهو ما تمر به كثير من الأحياء الهامشية في الجزائر، كالأحياء الشعبية العريقة التي تقادمت وانهارت مباني كثير بها، وتغير نمطها الثقافي والاجتماعي مع تغير النسيج

العمراني بها، بل تغير معها النسيج السكاني نفسه بعد كثرة الوافدين عليها، وانتقال السكان الأصليين لمناطق أخرى، " فتغير وجه أحيائنا **الشعبية العاصمة** بصورة واضحة في السنوات القليلة الماضية، حيث صارت الاعتداءات، المعاكسات، السرقات، وغيرها أبرز ما يميز يوميات **البهجة**. و استنادا لحصيلة **مصالح الأمن المشتركة** لأول أسبوعين من شهر رمضان **(2014)**، تم تسجيل ارتفاع عدد الاعتداءات بمختلف أنواعها، و باستعمال مختلف أنواع الأسلحة البيضاء، حيث **كشف رئيس الأمن العام** بالنيابة **العميد الأول للشرطة براشدي نور الدين** أن **80** % من الجرائم التي تصدرت القائمة؛ هي جرائم الضرب والجرح المتعمد، وحمل السلاح، والسرقة بالنشل، كما بلغ عدد الموقوفين في المواجهات بين الأحياء، خلال النصف الأول من السنة الفارطة **98** شخصا في **ولاية الجزائر**، وسجلت **أجهزة الأمن الجزائرية** خلال الأسبوع الثالث من شهر رمضان **(2014)**، ارتفاعا في معدل الجريمة بلغ **15 ألف جريمة** بمختلف أنواعها"[29].

4- أسباب ظهور الأحياء الهامشية:

أسباب ظهور الأحياء الهامشية في الجزائر متعددة ومختلفة، في مقدمتها:

- **أزمة السكن:**

تتوفر في الجزائر حظيرة سكنية تفوق **06 ملايين** وحدة سكنية (عام 2017)[30]، لكنها لا تلبي الطلبات المقدمة، وهي مشكلة ناتجة عن قصور التنمية والتخطيط العمراني عن مواكب النمو الديمغرافي، فجميع البرامج السكنية لم تساير النمو والحاجيات السكنية، وكان مصيرها الفشل التام أو القصور. وأمام هذا الانفجار السكاني لا يجد المواطنين من مأوى للسكن، سوى الأماكن الهامشية. وفشل سياسة **البناء الذاتي** بتوزيع أراضي الدولة لغرض بنائها، فسرعان ما باع الملاك هذه العقارات لأنها بعيدة عن المدينة[31].

- **ترخيص المناطق الهامشية السكنية:**

رضخت الحكومات الجزائرية لسيطرة مافيا العقار العشوائي، بإخراج سكان التجمعات السكنية الهشة، نحو شقق جاهزة، أو إعادة هيكلتها، الأمر الذي شجع المواطنين على دخول مغامرة العيش في هذه الأماكن الهامشية، على أمل الحصول على سكن لائق[32]. ما فاقم الأزمة فظهرت تجمعات فوضوية في فترة زمنية قياسية، بل ظهرت سمسرة البيوت القصديرية والعشوائيات.

- **النزوح نحو المدن الكبرى:**

بداية النزوح الريفي في **الجزائر** كان في سنة **1871**. حيث انتزعت **الجمهورية الفرنسية الثالثة** السلطة من الجيش الفرنسي ومنحتها للمعمرين، الذين استولوا على الأراضي الخصبة، ثم استولت فرنسا على 25000 كم من أخصب الأراضي، وطردت سكانها من الفلاحين، لينتقلوا إلى المدن. ثم جاءت ثورة التحرير **1954** إلى **19 مارس1962**، وكانت الحرب مركزة في المناطق الريفية والجبلية، فأصبحت شبه خالية من السكان الذين فروا إلى المدن، وبعد الاستقلال كان نزوح سكان القرى والبلدات الصغيرة نحو المدن بعد مغادرة المستوطنين الأوربيين والفراغ الإداري والعمالي وتوفر السكنات الشاغرة[33].

يتفق أغلب المهتمين بهذه الظاهرة الاجتماعية أن السبب الرئيس الأول وراء ظهور الأحياء الهامشية هو "**العامل الاقتصادي**"، وحتى الأمني فإنه مؤقت. و في الأسباب الاقتصادي بعض النظريات المفسرة منها:

1-2 نظرية المسافة: الأفراد ذوي المراكز والشهادات والمهارات الفنية والمناصب العليا لهم قابلية للانتقال لمسافات بعيدة لتحقيق أهدافهم وتحسين ظروفهم[34].

2-2 نظرية الطرد والجذب: تبين النظرية أن هنالك عوامل اجتماعية واقتصادية؛ وقد تكون سياسية وأمنية؛ طاردة للمهاجرين والنازحين من مناطقهم الأصلية، وقد تكون فيه عوامل جذب للمهاجرين والنازحين والرحالة[35].

3-2 نظرية الطبقية السكانية: تتشكل الطبقة من مهاجرين من بلد واحد لآخر، أو تجمع للملونين أو عرق أو ديانة في حي واحد لأسباب أهمها التمييز العنصري والطبقي والمعيشي ضدهم، مما يكوِن أحياء تجلب مزيدا من المهاجرين.

4-2 نظرية النمو المركزي: تقوم نظرية **بيرجس** على أساس فرضي أن أسعار الأراضي تبلغ أقصاها في قلب المدينة التجارية، ثم تنخفض تدريجيا بالبعد عن النقطة المركزية، ويأخذ النمو في المدينة شكل حلقات أو دوائر تتسع مع نمو المدينة[36].

5- واقع المناطق الهامشية.

تعاني الجزائر من هذه المشكلة من عقود، ورغم تعاقب الحكومات إلا أن الجزائر تعرف أزمة إسكان عبر ربوع الوطن" علما أنه تم إحصاء **554 ألف سكن هش** عبر التراب الوطني، استنادا إلى دراسة أعدتها الوزارة (وزارة **السكن**) خلال العام **2007**، وأكد ممثل

وزارة السكن أن المناطق الشمالية للوطن تحوي على **280 ألف وحدة سكنية هشة**، يتمركز جلها في المناطق الحضرية بمعدل **60**، مقابل **40 %** في المناطق الريفية".[37]

وهذا في ظل تركز سكاني عام في المناطق الحضرية، حيث بلغ عددهم خلال تعداد **2008: 22.471.179 نسمة**، في مقابل **11.608.851 نسمة** في المناطق الريفية[38].

وجذور المشكلة ليست نتاج جزائر ما بعد الاستقلال، لكنها تفاقمت وانتشرت أكثر خلال هذه المرحلة. وهي مستمرة على مر ما يزيد عن نصف قرن، ويمثل الجدول الموالي نسبة السكن الهش في الجزائر من مجمل الحضيرة الوطنية للسكن، وذلك منذ **1966** إلى غاية **2007**.

الجدول رقم (2): نسبة السكن الهش في الجزائر منذ 1966 إلى غاية 2007[39].

السنوات	النسبة من مجمل الحضيرة عبر السنوات
1966	%10.30
1977	%9.30
1984	%6.40
1992	%6.20
2007	%11

لا تبين الإحصائيات الرسمية النسب الفعلية للسكنات الهشة في الجزائر، و لا تعبر عن واقع انتشار الأحياء الهامشية، فقد صرح السيد **عبد الحميد بوداود** "**رئيس المجمع الوطني للخبراء المهندسين في الجزائر**"، أن " عدد السكنات الهشة في تصاعد رهيب أكثر مما تعده الأرقام الرسمية" [40].

و أول ظهور للأحياء القصديرية في الجزائر " في عهد الاستعمار، وتحت ضغطه، وبالتحديد في سنة **1929**، وهي السنة التي عرفت فيها فرنسا أزمة اقتصادية كبيرة" [41]، فسعت لنقل المعمرين إلى الجزائر، مع العلم أن في العهد العثماني لم تعرف المدن الجزائرية الأحياء الهامشية والسكنات الهشة، وخاصة على المستوى الحضري. لكن مع الغزو الفرنسي

عملت الإدارة الفرنسية على رفع عدد السكان الفرنسيين والأوروبيين مقابل السكان الجزائريين، بتشجيع سياسة الاستيطان الأوروبي، و التهجير الإجباري للسكان الأصليين من المدن [42].

و زاد من تفاقم أزمة السكن؛ النمو السكاني المتزايد للجزائريين بعد الاستقلال، مع ضعف التمية العمرانية، فانتقل التعداد السكاني من قرابة **17 مليون نسمة** إلى ما يفوق **40 مليون نسمة** خلال أربعين سنة، أي بزيادة **24 352 000 مليون نسمة**، بمعدل زيادة **608800 نسمة** لكل سنة.

الجدول رقم (3): تطور عدد سكان الجزائر خلال الأربعين سنة الأخيرة[43].

التعداد السكاني	عدد السكان
1977	16.948.000
1987	23.038.942
1998	29.100.863
2008	34.080.030
2016	40.800.000
2017	41.300.000

مع العلم أن عدد سكان البنايات الهشة يتراوح ما بين **4-5 ملايين نسمة**، حسب ما صرح به **السيد عبد الحميد بوداود** "**رئيس المجمع الوطني للخبراء المهندسين الجزائريين**" خلال نهاية **2013**. [44]

الجدول رقم (4): التوزيع الجغرافي للأحياء الهامشية
على مستوى بعض ولايات الجزائر[45]

الناحية	الولاية	بعض البلديات	بعض المواقع
الشرق الجزائري	عنابة	البوني	السروال
		عنابة	سيدي حرب 4
		سيدي عمار	مرزوق عمار
			الزاوية
		سكيكدة	بريكاتري
		أمزاج الدشيش	السطيحة
			عين الطوف
		بوشطاطة	بوشطاطة
		الحدائق	مجيد
الوسط الجزائري	البويرة	البويرة	رأس البويرة
		الأخضرية	السبت
		سوق الخميس	سوق الخميس
		عين الحجر	آيت بن عمر
		مقراني	حي مقراني
		بئر قبالو	طيبي قادة
		العجيبة	الحي الجنوبي
		الجبهية	الحمراء
		المدية	قشسان
الغرب الجزائري	وهران	وهران	حي اعادة الإسكان
		وهران حاسي بونيف	دوار الحاسي
			دوار رونكة
			وادي تيارتيا
			حاسي الأمير خالد

الخاتمة:

تمثل المناطق الهامشية بالجزائر من الناحية الاقتصادية، نموذجا مشابها لكثير من مثيلاتها في دول العالم المتخلف عموما، مع بعض الخصائص الاجتماعية المميزة لها، كوجود مختلف الفئات **السوسيو مهنية** بها، وانطلاقا مما تقدم عرضه من خصائص، يمكن حوصلة هذه الخصائص:

1. تخلف معماري وعمراني.
2. غياب المرافق الصحية مع إمكانية تدهور الوضعية الصحية للسكان.
3. اكتظاظ سكاني كبير، داخليا في المساكن وخارجيا في الأحياء.
4. انتشار ظاهرة الأمية. وانخفاض المستوى التعليمي والثقافي وخاصة عند النساء، والتسرب المدرسي المبكر.
5. تدهور الظروف الداخلية والخارجية للسكن، وازدحام المباني والسكنات.
6. التموقع الجغرافي على أطراف المدينة، وعلى أراض غير صالحة للإقامة فيها قانونيا.
7. غياب أو ضعف التغطية الأمنية.
8. تدهور الوضعية المعيشية لأغلب قاطنيها.

وقد تبين من الدراسات التاريخية أن أزمة المناطق الهامشية تسبب فيها الاحتلال الفرنسي بطرد السكان من منازلهم، ومصادرة الأراضي الفلاحية، ثم استمرت الأزمات التي زادت من موجات النزوح الريفي، وانخفاض القدرة المالية لشراء أو بناء مساكن، مما فرض على الدولة الرضوخ مؤقتا لمنطق السيطرة على الأملاك العامة وإنشاء مساكن بلا ترخيص رسمي.

توصيات:

مما يمكن تقديمه كاقتراحات في تتبع ظاهرة المناطق الهامشية و بحث الحلول الطويلة المدى، هو استثمار الأراضي الصالحة للبناء المهملة بسبب نزاع الورثة، و الاستفادة منها في عمرانيا، بدل السماح بالاعتداء على الأراضي الزراعية و المناطق الخطرة، كذا على

الدول تطبيق إجراءات عقابية على أصحاب السكنات المتعالية الطوابق التي تترك بلا طلاء و لا تتمة فتشوه المنظر العام، و هي ظاهرة عامة في الوطن، بل أصبحت ثقافة بناء، كذلك فرض الصرامة في التعامل مع المرحلين الجدد للأحياء السكنية الاجتماعية و متابعتهم بتسهيل نشاط الجمعيات التثقيفية و التوعوية.

الهوامش:

[1] زينب حميدة بقادة. **أثر الوسط الاجتماعي في جنوح الأحداث: دراسة ميدانية لدور الأسرة والمدرسة والحي في جنوح الأحداث في الجزائر**، دكتوراه دولة: علم الاجتماع الجنائي، جامعة الجزائر 2. كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، 2008، ص155.

[2] زينب حميدة بقادة. مرجع سابق، ص155

[3] حسين عبد الحميد رشوان. **علم الاجتماع الحضري؛ مشكلات المدينة**، الإسكندرية: المكتب العالي للكمبيوتر، 1999، ص 120.

[4] حسين عبد الحميد رشوان. مرجع سابق، ص 117.

[5] رجاء الكسّاب. **العشوائيات بالمغرب.. أو انتهاك الحق في السكن**، ص 1-2.www.hlrn.org/img/.../al-Kassab_Slums_in_Morocco

[6] أيمن محمد نور، خالد صلاح الدين علي. **الوسائل التكنولوجية في البناء كمحدد أساسي للارتقاء بالمناطق العشوائية بمصر**، ص2. http://www.cpas-egypt.com/AR/A_afify_ar.html

[7] ياسين بودهان. **مدن الصفيح بالعاصمة الجزائرية قبلة الهاربين من الفقر والعنف في الريف**، الجزيرة نت،http://www.aljazeera.net/news/reportsandinterviews/2015/6/7

[8] طويل فتيحة. **أمراض الفقر وسط الأحياء المتخلفة؛ دراسة ميدانية بمدينة بسكرة**، مجلة كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة ورقلة، العدد 15، جوان 2014، ص13.

[9] سهام وناسي. **النمو الحضري و مشكلة المناطق المتخلفة بالمجال الحضري**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في علم الاجتماع الحضري، باتنة 1، إشراف: مصطفى عوفي،2015- 2016، ص 228.

[10] شوقي قاسمي. **معوقات المشاركة الشعبية في برامج امتصاص السكن الهش**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في علم الاجتماع الحضري، جامعة محمد خيضر بسكرة، إشراف: عبد الرحمن برقوق، 2012-2013، ص 149.

[11] طويل فتيحة. مرجع سابق، ص13.

[12] شوقي قاسمي. مرجع سابق، ص149.

[13] أحمد بوذراع. **التطوير الحضري و المناطق الحضرية المتخلفة في المدن دراسة نظرية في علم الاجتماع النظري**، ط ، منشورات جامعة باتنة: باتنة، ط ، د تا. ص 27.

[14] علي بوعناقة. **الشباب و مشكلاته الاجتماعية في المدن الحضرية**، مركز دراسات الوحدة العربية: بيروت، ط 1، 2007، ص 44-45.

[15] محمد سلامة محمد غباري. **الدفاع الاجتماعي في مواجهة الجريمة**، دار الوفاء: القاهرة ط ، 2006، ص 178.

[16] إسماعيل قيرة. **أي مستقبل للفقراء في البلدان العربية**دار الهدى: باتنة ، ط 1، د ت، ص19،

[17] أحمد بوذراع. مرجع سابق، ص 32.

[18] محمد الأزهر. **الثقافة و السلوك الإجرامي**، دار النشر المغربية: الرباط، ط 1، 2003، ص106.

[19] حسن طالب. **المدينة و الجريمة؛ الأحياء الفوضوية في النسيج العمراني الضري و الجريمة**، منشورات دار الفنون: بيروت، ط1، 1997، ص 12-13.

[20] ناجح مخلوف. **أساليب التنشئة الأسرية و علاقتها بالانحراف في المناطق المتخلفة بالمسيلة**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع الحضري، جامعة محمد بوضياف المسيلة، إشراف: السعيد فكرون، 2008- 2009. ص102.

[21] إبراهيم توهامي إسماعيل قيرة، عبد الحميد دليمي، **التهميش و العنف الحضري**، دار الهدى: باتنة، ط ، 2004، ص117.

[22] شوقي قاسمي. مرجع سابق، ص 148-149.

[23] جميلة العلوي. **واقع الأحياء المتخلفة لمجتمع مدينة سطيف، حي طنجة نموذجا**، رسالة ماجستير علم اجتماع حضري، إشراف

عبد الحميد دليمي، قسم علم الاجتماع، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية جامعة منتوري، قسنطينة،2006-2007،ص 55

[24] شوقي قاسمي. مرجع سابق، ص 145- 6،.

[25] إبراهيم توهامي إسماعيل قيرة، عبد الحميد دليمي. مرجع سابق، ص140.

[26] محمد سلامة محمد غباري. **الدفاع الاجتماعي في مواجهة الجريمة**، دار الوفاء: بيروت، ط ،2006، ص 167،

[27] حسن أكرم نشأت، **علم الأنتروبولوجيا الجنائي**، دار الثقافة: عمان، ط1، 2008، ص137-138،

[28] نوزي سعدون عبد الله، **العوامل الاجتماعية المؤثرة في ارتكاب الجريمة**، مجلة الأنبار للعلوم الإنسانية، العدد 01، جامعة الأنبار: الأنبار، 2011، ص 138.

[29] حنان هانو. **أحياء شعبية تنام على صيحات السيوف**، مجلة الشروق العربي ، 23 مارس 2014. https://magazine.echoroukonline.com/articles/17.html

[30] ريطاب عز الدين. **ضرورة تجريم الأحياء الهامشية في المناطق الحضرية**، مجلة العلوم الاجتماعية، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، العدد 1، أكتوبر 2017 ، ص 225.

[31] دليلة زرقة. **سياسات السكن والإسكان بين الخطاب والواقع دراسة ميدانية بمدينة وهران**، رسالة دكتوراه في علم الاجتماع، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران 2، 2016، ص 137.

[32] ريطاب عز الدين. مرجع سابق، ص 225.

[33] مصطفى عوفي، قتالي عبد الغني. **سوسيولوجيا النزوح الريفي في الجزائر**، مجلة العلوم الاجتماعية، العدد 09، نوفمبر 2014، ص 14- 16.

[34] عبد السيد المحمد الخريجي، محمد الجوهري. **علم السكان**، دار المعرفة الجامعية: الإسكندرية، دت، ص 275.

[35] محجوب عطية القائدي. **أساسيات علم السكان**، منشورات الجامعة المفتوحة: طرابلس، 1997، ص276.

[36] أحمد علي إسماعيل. مرجع سابق، ص 28.

[37] www.eljazairess.com /elhiwar/25851,11/07/2017

[38] الديوان الوطني للإحصائيات، 2013، **حوصلة إحصائية من 1962-2011**، مديرية المنشورات و التوثيق: الجزائر ط ، ص44.

[39] مسعودة عطال. **النمو الحضري و علاقته بمشكلة البيئة الحضرية**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير تخصص علم الاجتماع الحضري، جامعة الحاج لخضر: باتنة، إشراف: إسماعيل بن سعدي، 2008-2009، ص 101.

[40] www.alqudz.co.uk / ?p=11422,le 11/07/2017.

[41] عبد الحميد ديلمي. **دراسة في العمران؛ السكن و الإسكان**، دار الهدى: باتنة، ط ،2007، ص147

[42] شوقي قاسمي. مرجع سابق، ص106.

[43] الديوان الوطني للإحصائيات. مرجع سابق، ص 40-44.

[44] www.alquds.co.uk / ?p=11422,le 11/07/2017.

[45] شوقي قاسمي، مرجع سابق، الملاحق.